اما الوسائل الواقية من الطاعون قبل وروده فرجعها كلها الى النظافة . واذا أصيب احد بالعدوى فليعزل تماماً عن اهله لا يقترب اليه الّا المرّضون والاطبّاء مع اتخاذهم كلّ التحوطات المفروضة عليهم لحسم الداء عن اشخاصهم فيغتسلون غالباً بالمطهرات المزيلة للاعفان والادران ولا يأكلون في حجرة المريض ويحرقون كلّ الامتعة التي لمست المطعون او اتخذها لخدمته . ومما يبيّن نتائج النظافة في ايّام العدوى انّ البعثة الانكليزية التي أُرسلت الى هنغ كنغ لفحص الطاعون لم يُصب احد من اعضائها بالوباء وكانوا احد عشر شخصاً مع انهم لم يزالوا يتردّدون بين المطعونين وقد نسبوا ذلك الى القوانين الصحيّة التي اتّبعوها طول مدّة اقامتهم في تلك البلدة الموبوءة (١)

مجلّة الضياء ولغة الجرائد

لاحد الادباء من محرّري الجرائد

انتقدت مجلّة الضياء الغرّاء على كتّبة الجرائد استعمالهم بعض الالفاظ في غير معناها واتزالهم اياها في غير منازلها والحقّ يقال انها نبّهت في مقالتها التي عنوانها « لغة الجرائد » الى كثير من الاغلاط الفاشية فحقّ لها الشكر على هذه الخدمة المقصود بها صيانة الاقلام عن شوائب الخطاء . الّا اننا بعد مطالعة المقالة المذكورة خطرت لنا بعض ملاحظات فوددنا ابداءها لرصيفتنا المشار اليها فان أصبنا فذلك ما نتوقّع وان لم نُصب فالانسان على كلّ حال مظنّة الزلل

١ خطّأت مجلّة الضياء الكتبة في استعمال التحوير بمعنى التهذيب والتنقيح قائلةً : ان اللفظة لم ترد في شيء من كتب اللغة بمعنى من هذه المعاني وانما هي في اللغة بمعنى تبييض الثوب

ونحن نرى انّ هذا الاستعمال حسن وفصيح لان الكتبة نقلوا اللفظة من معناها الاصلي الى المجاز ولا مانع يعترضهم دون ذلك وهم يريدون بها اعادة النظر والمراجعة تشبيهاً لذلك بتبييض الثوب . وعليه لا نظنّ تخطئتهم صوابيّة الّا اذا قلنا ان باب

(١) ارسل لنا جناب الدكتور ف . بركات طبيب المستشفى الفرنسيّ في بيت لحم مقالة حسنة في الطاعون ورددنا بعد مقالة حضرة الاب برلوموا فاكتفينا بالاشارة مع شكر الكاتب الاديب

المجاز مقتل في وجوههم وهذا باطل . أوَ ليست كلمة بيّض التي هي كحوّر دلالةً قد استُعملت من زمانٍ قديم دون اعتراض بمعنى تنقيح الكتابة وكذلك لفظة سوّد استُعملت لما يُكتب ابتداء بقصد مراجعته

ثم ان كلمتَيْ نقّح وهذّب اللتين ارادت مجلّة الضياء استعمالها بدل حوّر هما كذلك منقولتان عن معناهما الاصلي الى معنى الاصلاح والإخلاص . فاذا كان قد جاز للمتقدّمين استعمال المجاز فلماذا لا يسوغ ذلك للمتأخرين ؟

٢ ثمّ خطّأت قولهم « اشار عليه بكذا فانصاع لمشورته » وقالت انهم يعنون بانصاع انقاد واطاع ولا وجود لذلك في اللغة لكن يقال انصاع الرجل اذا انفتل راجعاً مسرعاً

والذي نظنه ان مستعملي هذه اللفظة غير مخطئين لانهم لم يحوّلوها عن معناها الاصلي الذي ذكرتهُ مجلّة الضياء . فهم يصوّرون المشار عليه ممتاً في الشطط ويتجاون النصيحة كأنهُ يُعيده الى المسلك القويم فيرجع اليه مسرعاً . فهو على حد قولنا ان فلاناً الممعن في غوايته عاد بسرعة الى سواء السبيل لمّا سمع النصح

٣ وعابت الضياء على الكتبة قولهم « وهم في حاجة الى الغذاء والكساء » . فقالت انهم يستعملون الكساء بالمدّ لطلق الملبوس وانما الكساء ثوب بعينه

ونحن لا ننكر انّ الكساء ثوب خاصّ ولكن يعذر الكتبةَ أنهم يريدون الجمع بين لفظين متوافقين زنةً ليكون ذلك احسن في السمع ولنا ان نقول انّهم يقيمون الجزء مقام الكلّ جرياً على آثار البلغاء الذين كثيراً ما فعلوا مثل هذا

٤ وقد خطّأت ايضاً استعمال أمعن متعدّياً وقالت انهُ لا يقال أمعنتُ النظرَ في الامر

الّا انّ كثيرين من المنشئين المجيدين استعملوا هذا الحرف متعدياً . قال النويري وهو من مشاهير الكتّاب : « أمعنَ النظرَ وطلب الاستخارة » . ثم انهُ يؤخذ من كتب اللغويين ان أنعَمَ كأمعَنَ او بالحري هي مقاوب الاولى فاذا كان المنشئون المشهود لهم بالتبريز يستعملون أنعَمَ متعدياً فلماذا لا يجوز استعمال أمعَنَ ايضاً كذلك . قال الحريري في مقامتهِ الراغبة : « هل للقدماء اذا أنعم النظرَ من حضرَ غير المعاني المطروقة الموارد الخ » . وكذلك ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك يقول : « ارشدنا الله واياهُ ان نُنعمَ

النظرَ فيما شكَّ فيه منهُ الخ ». هذا وانَّ أحمد فارس الشدياق الذي قضى حياته في نقد كتب اللغة وتقليبها وأَلَّف عدَّة من التصانيف الشاهدة لهُ بسعة الاطلاع في هذا الامر كثيرًا ما استعمل امعن متعدّية بنفسها ولا شكَّ انَّ مثلهُ لا يُتهم بالجهل

وقول الضياء بان أمعن لم ترد في كتب اللغة متعدّية لا يصلح ان يؤخذ حجَّة قاطعة طالما ان كتب اللغة لم تُحط بكل الالفاظ كما هو مسلَّم وعليهِ فيكون استعمال الكتَّاب المشاهير ممَّا يستأنس بهِ على الاقلّ في مثل هذا

٥ ومن انتقاد الضياء انهـا عابت استعمال استأسر بمعنى أسر قائلة انهُ بمعنى استسلم. والحال ان ذهاب الضياء الى كون هذا الحرف لا يستعمل متعدّيًا متقوض بما جاء في كتاب المغرب للمطرزي الشهير فانهُ ذكر استأسر صريحًا بمعنى أسر واورد على ذلك حديث عبد الرحمن وصفوان وهو « انَّهما استأسرا المرأتين اللتـين كانتا عندهما من هوازن »

٦ وقد انكرت الضياء قولهم « خرج في موكب يبلغ خمسة آلاف عدًّا » وقالت انهم لا يتدبَّرون معنى العدّ هنـا. وبيانه انك تقول لي على فلان خمسة آلاف درهم عدًّا اي عليهِ هذا القدر معدودًا عدًّا لا بطريق التقدير والتقريب فيكون مفاد هذا اللفظ اذًا التحقيق والتوكيد لا الحشو والتزيين كما يتوهمونهُ

نقول أنَّنا لا نظنّ كتبة الجرائد يستعملون هذا اللفظ في غير المعنى الذي ارادتهُ مجلَّة الضياء فاذا قالوا خرج في موكب يبلغ خمسة آلاف عدًّا يريدون انَّ الموكب يبلغ هذا المبلغ بالتحقيق والتوكيد لا بالظنّ والتقدير وهم يقولون ذلك اذا تمكَّنوا من معرفة العدد معرفة صحيحـة وما ذلك عليهم بممتنع. ولا ندري ما هو السبب الذي يُسوِّغ القول « نقدتهُ خمسة آلاف عدًّا » ولا يُجيز « بلغ الموكب خمسة آلاف عدًّا » طالما ان المقصود توكيد الامر وتقريره في كلا التعبيرين

٧ ثم قالت مجلَّة الضياء : « ويقولون فعل هذا لمصلحة اهل جلدتهِ يريدون قومه واهل جيلهِ. وقد أُولع كتَّابنا بهذه العبارة وتناقلها بعضهم عن بعض من غير بحث ولا تنقيب عن اصل مغزاها وهي في الاصل من قول جرير وقد مرَّ بنُصيب الشاعر وهو ينشد وكان نصيب اسود. فقال لهُ: اذهب فانت اشعر اهل جلدتك يعني اشعر السود. فقال: وجلدتك يا ابا جزوة وهي كنية جرير اي واشعر البيض ايضًا. وحينئذٍ لا معنى ان

نقول اهل جلدة الانكليزي مثلاً واهل جلدة الفرنسوي والالماني لان لكل هؤلاء جلدةً واحدةً »

نقول انَّ هذا الاستعمال لا ينبغي ان يُلحظ فيهِ معنى الاصل دائمًا بل يجوز التوسع فيهِ بدليل ما ورد في التاج قال: « ومما يُستدرك عليهِ (القاموس) قوم من جلدتنا اي من انفسنا وعشيرتنا ». فمنهُ يُرى أنهُ يجوز القول اهل جلدة الالماني مثلاً واهل جلدة الانكليزي اي قومهُ ورهطهُ وعشيرتهُ وان كان للانكليزي والالماني جلدة واحدة بيضاء. ثمَّ انهُ من المقرَّر ان للبياض والسواد درجات وفروقًا وعلى ذلك فاي شيء يمنع من القول « اهل جلدة السوري واهل جلدة البغدادي والحلبي » مثلاً باعتبار هذه الفروق والدرجات في بياض البشرة ؟

٨ وخطَّأت الضياء ايضًا استعمالهم أنجاد جمع نجد قائلةً انهُ لم يُسمع للنجد جمع على انجاد ولا على غيرهِ لانهُ مصدر في الاصل. نقول ان لفظة نجد وان لم يُسمع لها جمع يصحّ جمعها باعتبار تعدّد انواعها فاذا اضطرَّ كاتب جريدة لجمعها كما قد يعرض ذلك في الترجمات عن اللغات الاجنبيَّة فلا مانع من تكسيرها على أنجاد

٩ ومن انتقادات الضياء ايضًا على كتبة الجرائد قولهم « جاء فلان خلوًّا من المال » بتشديد الواو فقالت انَّ صوابهُ « خِلوًا » بكسر الخاء وسكون اللام وهو بمعنى الخالي

نعم ان ما قالتهُ الضياء هو الأصوب والاقرب ولكن اي مانع من ان يكون قولهم خلوًّا نصبًا على المصدريَّة بعامل غير مذكور تقديرهُ خاليًا

١٠ وخطَّأت الضياء استعمالهم لفظة رحوم وقالت ان صوابها رحيم

قال اللسان ما حرفيَّتهُ: « رحيم فعيل بمعنى فاعل كما قالوا سميع بمعنى سامع وقدير بمعنى قادر وكذلك رجل رحوم وامرأة رحوم » فيتبيَّن من عبارة اللسان ان كلمة رحوم بمعنى رحيم اي راحم فلا سبيل اذًا لملامة الكتَّاب على استعمالهم

١١ وقالت الضياء: « انهم يقولون هؤلاء اخصامي يريدون جمع الخصم بالفتح وفَعْل الصحيح لا يجمع على أفعال... والصواب جمعه على خصوم » قلنا ان كلام الضياء لا ينطبق على ما ورد في تاج العروس: « ومما يُستدرك عليهِ الأخصام جمع خَصِم ككَتِف واكتاف او جمع خَصْم كفَرْخ وافراخ او جمع خصيم كشهيد وأشهاد »

١٢ ومن كلام الضياء انهم يقولون: « مرَّت عليهِ كرور الزمان فيؤنثون لفظ الفعل على توهُّم انَّ الكرور جمع وانما هو مصدر كرَّ »

غير ان الذي نذكرهُ هو انهم يقولون مرَّت عليهِ كرور الازمان لا الزمان فهم يؤنثون لفظ الفعل مراعاةً للمضاف اليهِ كأن المضاف غير مذكور . وهذا منطبق على قواعد النحو التي بمقتضاها يكتسب المضاف من المضاف اليهِ تأنيثًا

١٣ وخطأَت مجلَّة الضياء لسان الدين بن الخطيب في ما قالهُ عن الغارة على جيَّان وهو « فقلنا ثانيةً غربها وجدَّدنا كربها واستوعبنا حرقها وخربها » فقالت انَّما يُقال أخرب المكان او خرَّبهُ بالتثقيل ولا يُقال خرَبهُ بالمجرد

والحال انَّ الفيروزابادي يقول في قاموسهِ ما نصُّهُ: « خرَب الدار خرَّبها كأخربها » أفتنبذ قول القاموس ؟

هذا ما خطر لنا اثباتهُ من الملاحظات الخصوصيَّة على مجلة الضياء وقد بقيت لنا ملاحظة عموميَّة نختم بها الكلام

من الثابت انَّ الذين جمعوا كتب اللغة قد فاتهم كثير من الفاظها بل كثير من معاني الالفاظ التي جمعوها فهل يستطيع المتأخر ان يخطئ مشاهير الشعراء المبرزين والمجيدين من المؤلفين القدماء اذا رأى في كلامهم الفاظًا لا وجود لها في كتب اللغة او مستعملة بخلاف ما هو مدوَّن في تلك الكتب لاسيما وانَّ كثيرًا من الالفاظ العربية الواردة في كتب اللغة لا تستند الَّا الى بيت واحد من الشعر القديم

لعمر الحق اننا على قدر ضعف نظرنا نظنّ تخطئتهم غير جائزة للمتأخر بل غاية ما يجب ان نضمّ ما ورد من استعمالاتهم الى كتب اللغة حتى لا يبقى فيها نقص من هذا القبيل

فاذا كان ابن هانئ المشهور يستعمل « خفَر الذمَّة » متعديةً بنفسها خلافًا لما ذكرهُ جامعو اللغة واذا كان عدي بن زيد يستعمل وثق بمعنى أوثق وهو من اهل الجاهليَّة الذين عنهم أُخذت اللسان فايُّ حرج علينا اذا سلكنا مسلكهم وجعلناهُ حجَّةً نحتجّ بها عند من يخطِّئنا . والسلام

(المشرق) وقد ارسل لنا احد قرَّاء المشرق والضياء في بغداد سؤالين يلقيهما على مجلة الضياء فالحقناهما بالمقالة السابقة:

١ جاء في الضياء (١ : ٥٠٤) ما نصُّهُ: « ومن عاداتهم في النقل ما أولع به اكثرهم من

استعمال لفظة هاته في مكان هذه ذهاباً الى انها افصح منها وما هي بالفُصحى ولا الفصيحة . . الخ » وقد قرأنا في تاج العروس ما يأتي : « ته للمؤنث (اي اسم اشارة يُشار به الى المؤنث) اه . فاذا ادخلنا عليها هاء التنبيه « فالظاهر » انها تصير هاته . وعليه فتكون الفصيحة إلَمْ تكن الفُصحى . فما قول الضياء في ذلك ؟

٣ وجاء في الصفحة ٥٠ « لا يقال : « هلّ شهر يناير مثلاً وجاء في غُرّة ابريل » وقد قرأنا في الكليات : « غُرّة كلّ شيء أوّلهُ » افلا يدخل في حكم هذا الكل الشهر ايضاً . ثمّ ان معنى الشهر الاصليّ (اي في اللغة الكلدانية السريانيّة) القمر واذا جاز ان يسمّى يناير شهراً افلا يجوز ان يُقرَن بلفظة توافق القمر او الشهر من باب مراعاة النظير او من باب التوسع ؟

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر الامراء بعرامون

وهم من الطبقة الثانية ومن المعاصرين لناصر الدين الحسين . امّا الذين عاشوا بعد زمانه فنؤخرهم ونذكرهم في موضعهم

ذكر الامير سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين صالح بن علي

كان اميراً حسن السيرة مبجّلاً من الناس مشكوراً عندهم محبوباً اليهم ذو كرم وحشمة . جهات اقطاعه بامريّة عشرة (١ : نصف عيتات ونصف دفون ونصف مجدليّا ونصف شملان ونصف عين دواقيل وثلث بتاثر ونصف سرحثور وثلث عيناب وثلاث قطع ارض في العمروسيّة وثلث عميه وثلث حصّة الملك في خلدا ومن الفريديس فدّان . وعمّر [لهُ] ناصر الدين الحسين القبو الذي في الداش الى جهة الشرق وعمّر ايضاً المجلس الجنوبيّ والاسطبل فرفعهُ سيف الدين وعمّر عليه الطبقة التي فوقهُ . وكانت امّ سيف الدين مفرج زين الدار ابنة سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمّد وهي اخت ناصر الدين الحسين . وتزوّج سيف الدين ياقوتة ابنة ناصر الدين الحسين في السابع عشر من ربيع الاوّل سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩م) . ونقلتُ عن خطّ ناصر الدين الحسين (٢ 83) : « انّ سيف الدين توجّه الى دمشق في جهاز ولده شمس

١) راجع اخبار الاعيان ص ٢٢٣